

دراسة أسلوبية في قصيدة (بطاقة هوية) للشاعر محمود درويش**stylistic study in a poem (identity card) by the poet
Mahmoud Darwish**د. فاطمة الزهراء فايدي⁽¹⁾

جامعة خميس مليانة – الجزائر

faidifatmazohra@gmail.com

تاريخ النشر: 2026-06-09	تاريخ القبول: 2026-06-05	تاريخ الإرسال: 2023-03-15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تُعبّر القصيدة الشعرية الفلسطينية عما يعيشه الشعب الفلسطيني من معاناة ومآسي نتيجة الضغوط التي يمارسها الكيان الصهيوني عليهم، وهذا ما جسده الشاعر محمود درويش في قصائده، والتي سعى من خلالها التعريف بالقضية الفلسطينية في المحافل الدولية (العربية والغربية)، ويمكن اعتبار هذه القصائد بمثابة وسيلة اتصال يُعبر بها الشاعر محمود درويش عن مآسي شعبه وألمه على وطنه فلسطين، وهذا ما ظهر جليا في قصيدته (بطاقة هوية) التي تتدرج ضمن ديوان (أوراق الزيتون).

ونسعى في هذه الورقة البحثية مقارنة النص الشعري (بطاقة هوية) مقارنة موضوعية بعيدا عن الملاحظات الخارجية، وذلك وفق آليات التحليل الأسلوبي الذي يُحقق هذا، وننطلق بذلك من المستوى الصوتي مروراً بالمستوى التركيبي وصولاً إلى المستوى الدلالي، وذلك لإبراز السمات الأسلوبية التي وظفها الشاعر محمود درويش في نصه الشعري لإثارة قارئ هذه القصيدة، و التي أضفت بدورها بعدا جماليا، وفي هذا الصدد نطرح السؤال التالي: ما هي أهم السمات الأسلوبية التي وظفها الشاعر محمود درويش؟.

(1) المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية؛ المستوى الصوتي؛ المستوى التركيبي؛ المستوى الدلالي؛ القارئ.

Abstract

The Palestinian poetic poem expresses the sufferings and tragedies of the Palestinian people as a result of the pressures exerted by the Zionist entity against them. This is what Mahmoud Darwish wrote in his poems, in which he sought to introduce the Palestinian cause in international forums (Arabic and Western). Poet Mahmoud Darwish expresses the tragedies of his people and his pain to his homeland Palestine, and this is evident in his poem (identity card), which falls within the (olive leaves).

In this paper we seek to approach the poetic text (identity card) objective approach away from external circumstances, according to the mechanisms of the methodological analysis that achieves this, and we start from the vocal level through the level of syntax to the level of semantic, to highlight the stylistic features employed by the poet Mahmoud Darwish In his poetic text to excite the reader of this poem, which in turn added aesthetic dimension, and in this regard we ask the question: What are the most stylistic features employed by poet Mahmoud Darwish?

Key words: stylistics; acoustic level; syntactic level; semantic level; reader.

مقدمة:

عرف النقد العربي الحديث والمعاصر ولوج العديد من الدراسات النقدية التي أخذت على عاتقها دراسة النصوص الأدبية على اختلاف جنسها دراسة موضوعية بعيدا عن البعد المعياري؛ أي إصدار الأحكام الانطباعية، وإنما معالجتها وفق آليات إجرائية نصية منطلقين من لغة النص بعيدا عن الظروف الخارجية (اجتماعية، سياسية، اقتصادية)، وهذا ما تمثل جليا في التحليل الأسلوبي الذي: « ينظر إلى النص نظرة شاملة من غير أن يؤدي ذلك إلى تشطيه، لأننا نتعامل مع مبدأ توالج العلوم من موقع الاستثمار المعرفي الذي يكثف الجهد في ملاحظة أدوات النص وتأليفه، والبحث في المفاهيم والأفكار الداخلية في تكوينه بواسطة النسيج اللغوي الذي تتمثله هذه المفاهيم والأفكار»¹.

يدل هذا على أن التحليل الأسلوبي يرى النص عبارة عن كيان لغوي متناسق لا يمكن الفصل بين أجزائه، وبانفتاح البحث الأسلوبي على علوم أخرى تُساعده في كشف الأدوات التي تظهر في النظام اللغوي لهذا النص.

يهتم التحليل الأسلوبي في دراسته للنصوص الأدبية على العناصر الثلاث: «العنصر اللغوي إذ يُعالج نصوصا قامت اللغة بوضع شفرتها، والعنصر النفعي الذي يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل المؤلف والقارئ والموقف التاريخي وهدف الرسالة وغيرها، والعنصر الجمالي الأدبي ويكشف

عن تأثير النص على القارئ والتفسير والتقويم الأدبيين له»²، فيمكن للمحلل الأسلوبي أن يقوم بدراسة النصوص الأدبية وفق أي عنصر أراد من العناصر السابقة.

وتسعى الدراسة الأسلوبية للكشف عن الظواهر الأسلوبية التي يحتويها النص الشعري التي يساهم في توظيفها الشاعر ليجريها القارئ، وعلى المحلل الأسلوبي أن يتزود بحمولة معرفية لعلوم أخرى كالبلغة، واللسانيات، والعروض، وعلم الأصوات، والنحو، وذلك لانفتاح الدراسة الأسلوبية على هذه الحقول المعرفية، وبهذا يمكن للمحلل الأسلوبي دراسة النص المختار والوصول إلى الظواهر الأسلوبية.

نعمل في هذه الورقة البحثية على دراسة النص الشعري (بطاقة هوية) للشاعر محمود درويش من ديوان (أوراق الزيتون) المجلد الأول الصادر عن دار العودة في بيروت، الطبعة السادسة لعام 1979 للميلاد، وفق المستويات الثلاثة (الصوتي، التركيبي، والدلالي).

1- المستوى الصوتي:

تُركز الدراسة الأسلوبية على الجانب الصوتي والإيقاعي للقصيدة، فالإيقاع هو تلك: «النعمة التي تتكرر على محور ما في الكلام أو في البيت أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو في أبيات القصيدة»³، ويعني هذا أن القصيدة تحتوي على طابع موسيقي داخلي يمكن أن يتمثل في بيت واحد أو أكثر أو فقرة من خلال الكلام، والبعد الصوتي للقصيدة سواء أكان الأمر متعلقاً بالجانب الخارجي للقصيدة أو الجانب الداخلي فله علاقة بالحالة النفسية للشاعر، وهذا ما سيتضح في هذه الدراسة.

تتدرج قصيدة (بطاقة هوية) للشاعر محمود درويش ضمن شعر التفعيلة، فهو يعتمد على بناء السطر بدل البناء العمودي، فالقراءة الخارجية لهذا النص الشعري تُحيل على أنها من بحر الكامل، وهو من البحور الصافية التي تعتمد على تفعيلة واحدة (مُتَقَاعِلُنْ)، وسنقوم بتقطيع عروضي للمقطع الأول من القصيدة. حيث يقول الشاعر محمود درويش:

سجل

سَجَلْ

0/0/ مُتَقَا.

أنا عربي

أَنَا عَرَبِي

0// 0// عِلُنْ مُتَقَا

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وَرَقْمُ بِطَاقَتِي خَمْسُونَ أَلْفَ

0//0/0/0//0//0//

عَلُنْ مَتَقَاعِلُنْ مَتَقَاعِلُنْ

أما فيما يتعلق بالقراءة الداخلية للقصيدة، فنجد الشاعر محمود درويش اعتمد على خاصية أسلوبية تمثلت في التكرار (La Répétition)، ونقصد به: «استعمال اللفظ أو الوحدة اللغوية مرتين أو أكثر دون تمييز الاستعمال الثاني عن الأول بمعنى خاص سوى ما قد يتولد عن مجرد التكرار»⁴، يتبين من هذا التعريف أنَّ التكرار هو عبارة عن خاصية يوظفها الشاعر في نصه، ويمكن أن يكرر اللفظ مرتين أو أكثر مع الإبقاء على المعنى.

وهناك من الشعراء المعاصرين من يميلون إلى توظيف تكرار الحرف مثلاً: حروف الجر، أو الظروف أو أشباه الجمل، والجمل الاسمية والفعلية، ويقوم الشاعر بتقديم وتأخير هذه الجمل ولكل هذه الأنواع معان ودلالات تدخل ضمن البناء المحدد لها.⁵

تراوح استخدام الشاعر محمود درويش للتكرار بين تكرار الحرف والضمير، وتكرار اللفظة، والعبارة (الجملة)، وهذا ما يظهر في النص الشعري (بطاقة هوية)، ففي تكرار الحرف نلقى الشاعر يُكرر حرف الربط (الواو) 26 مرة، في حين حرف الربط (الفاء) فيكررها خمس مرات⁶، و يُحيل هذا على اعتماده على حرف الربط (الواو) لتسلسل أفكاره والتعبير عن موقفه اتجاه وطنه، أما تكرار الضمير فارتبط بضمير المتكلم (أنا) الذي تردد 10 مرات في القصيدة⁷، ويدل هذا على أنَّ الشاعر هو المتحدث عن معاناة قومه فهو يمثل صوت شعبه.

وهناك نوع آخر من التكرار استعمله الشاعر وهو التكرار الاستهلاكي، ويتمثل في بداية كل مقطع من هذه القصيدة الذي يتجلى في قوله:

سجل

أنا عربي⁸

وهذا النوع من التكرار أضفى على القصيدة بعداً موسيقياً مع تأكيد موقف الشاعر من انتمائه لبلده، وتكرار العبارة في قوله:

فهل تغضب؟⁹

وقوله أيضاً:

أنا اسم بلا لقب¹⁰

ووظف الشاعر محمود درويش التكرار العمودي، ذلك بتكرار الظرف (قبل) في قوله:

جذوري..

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتح الحقب

وقبل السرو والزيتون

...وقبل ترعرع العشب¹¹

فهذا التكرار ساهم في إضفاء بعدا جماليا موسيقي للقصيدة وقوم الشاعر بتكرار الحروف الثلاث (اللام والنون والراء)¹²، وهي كما نعلم حروف دلقية لا يمكن أن نجد أي كلمة عربية تخلوا من هذه الحروف، فهذه التكرار لهذه الحروف يتناسب مع الحالة التي يعيشها الشاعر محمود درويش، فهو يعبر من خلالها عن انتمائه إلى وطنه فلسطين، وإلى عروبه المتجذرة منذ زمن بعيد، فعلى سبيل المثال فحرف (اللام) هو حرف مجهور، فهو يحيل في هذا الصدد عن قوة الشاعر وانتصاره على المستعمر الصهيوني.

2- المستوى التركيبي:

يُعتبر المستوى التركيبي بالنسبة للمحلل الأسلوبي الخطوة الثانية في تحليله للنص الشعري ويهتم هذا المستوى بـ: « دراسة طول الجملة وقصرها، وأركان التركيب خاصة المبتدأ والخبر، والفعل، والفاعل، والعلاقة بين الصفة والموصوف، وبالإضافة، والوصل وغير ذلك، كما تتم دراسة ترتيب التركيب مثل تقديم عنصر أو تأخيره...»¹³، ويُحيل هذا أن المحلل الأسلوبي يعني بدراسة النص الشعري من خلال لغته مركزا على طول الجمل وقصرها، وكذلك دراسة العلاقات التي تربط بين الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر وغيره كما يأخذ بالعناصر التي تم فيهما التقديم والتأخير.

اعتمد الشاعر محمود درويش في ربط أفكاره التي تُعبر عن موقفه على أدوات الربط مثل: الواو، والفاء، وثم، ويتضح ذلك في قوله:

ولون شعري.. فحمي

ولون العين.. بني

وميزاتي:

على رأس عقال فوق كوفية

وكفي صلبة كالصخر¹⁴

فمن خلال هذا المقطع الشعري يربط الشاعر محمود درويش بين هذه الأسطر الشعرية بحرف الربط (الواو)، والذي يفيد الترتيب والتسلسل، فهنا يوضح لنا الشاعر القضية التي يريد أن يعبر عنها وهي وصفه للعربي الأصل وميزانه التي تميزه عن غيره.

يوظف الشاعر محمود درويش خاصية أسلوبية تمثلت في التقديم والتأخير ويرى عبد القاهر الجرجاني أنه: «باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر عن بديعة، ويقضى بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»¹⁵، يتبين من هذا المفهوم أن التقديم والتأخير يضيفي على النص الشعري جمالية، ويعمل القارئ ذهنه ليحدد هذا الخرق اللغوي.

وتتجلى خاصية التقديم والتأخير في النص الشعري (بطاقة هوية) في قول الشاعر محمود درويش:

صبور في بلاد كل ما فيها

يعيش بقوة الغضب¹⁶

يتبين هنا أن الشاعر قام بتقديم الخبر والذي يتمثل في لفظة (صبور)، وحذف المبتدأ والذي يقدر بالضمير (أنا)، فنقدير الكلام (أنا صبور في بلاد كل ما فيها)، إلا أن الشاعر بقيامه بهذا الخرق فهو يُحيل على أنه صابر على ما يفعله الكيان الصهيوني في شعبه، وهنا يكون أكثر تأثيراً بإبقائه على الخبر وحذفه المبتدأ على القارئ لهذا السطر الشعري، وكذلك في قول الشاعر محمود درويش:

وميزاتي:

على رأس عقال فوق كوفية¹⁷

ففي هذا السطر الشعري يقوم الشاعر بتقديم الخبر (على رأس) وهي شبه جملة، على المبتدأ المؤخر (عقال)، وهنا يتقدم الخبر عن المبتدأ جوازاً، ويُحيل هذا التقديم على شدة حماسة الشاعر في ذكر خصاله العريقة التي تدل على قوة ورفعة العربي، وهنالك تقديم وتأخير على مستوى الجملة الفعلية في قول الشاعر محمود درويش:

جذوري..

قبل ميلاد الزمان رست¹⁸

يتضح هنا تقديم الفاعل (جذوري) عن الفعل الماضي (رست)، ويعني هذا تأثر الشاعر بعقيدة جذوره وأصوله، ولذلك بدأ بلفظة (جذوري) وتأخير الفعل (رست) لأن جذوره متأصلة منذ زمن بعيد.

ويوظف الشاعر محمود درويش في بناء لغة نصه الشعري على الأفعال المضارعة والأفعال الماضية، فنلقى في القصيدة الأفعال المضارعة: (يأتي، تغضب، تأخذ، أعمل، أكره، أتوسل، أسطو...)، ويُحيل هذا على أن الشاعر محمود درويش يتطلع لمستقبل زاهر لوطنه مخالف للوضع الذي هو فيه،

والأفعال الماضية: (رست، كان، كنت، سلب ...)، فهي تدل على ثبات الشاعر وعراقة بلده وشعبه، أمّا فعل الأمر فتجلى في لفظة (سجل).¹⁹

يعني به أنّ الشاعر هو المؤرخ الشاهد على معاناة الشعب الفلسطيني، كما تحمل معنى آخر ويتمثل في صموده وتحديه للكيان الصهيوني، وفي قول الشاعر:

وتاسعهم... سيأتي بعد صيف!²⁰

يتبين من هذا السطر الشعري استخدام حرف (السين) الذي يدل على المستقبل القريب، فالشاعر يتقرب ظهور شيء جديد في وطنه.

3- المستوى الدلالي:

يُعد المستوى الدلالي الخطوة الثالثة في التحليل الأسلوبي، ويُعنى هذا المستوى بخواص أسلوبية كالرمز، والتناص، والاستعارة، والكناية، والتشبيه والحقول الدلالية، ويمكن أن يختلف هذا من دارس لآخر، ومن نص شعري لآخر، ففي قصيدة (بطاقة هوية) نجد الشاعر محمود درويش يُوظف الرمز، والتشبيه، وكذلك حقولا دلالية وعلى هذا الأساس سنتطرق لكل عنصر على حدى.

يُوظف الشاعر التشبيه كخاصية أسلوبية في قوله:

ولكني... إذا ما جعت آكل لحم

مغتصبي²¹

من خلال هذا المثال يصور الشاعر لنا حالته مثل ذلك الحيوان المفترس الذي لا يرحم فريسته، وكذلك تُحيل هذه الصورة على شجاعة الشاعر وإقدامه ووقوفه أمام العدوان الصهيوني، وهنالك تشبيه آخر في قوله:

كفي صلابة كالصخر

تخمش من يلامسها²²

يُصور الشاعر محمود درويش من خلال هذا التشبيه مدى همة العربي في العمل، فمن شدة العمل، صارت يده أكثر خشونة، وكما يعني هذا التشبيه أنّ الشاعر لا يعتمد على غيره في إعالة أهله وبلده.

تنوع الشعراء العرب المحدثين في توظيف الرمز في شعرهم، فتراوح بين الرمز الديني، والأسطوري، والتاريخي، والطبيعي، والرمز (Symbole) هو: «وسيلة إدراك ما لا يستطيع التعبير عنه لغيره، فهو أفضل طريقة مُمكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي، وهو بديل عن شيء يصعب، أو يستحيل في ذاته»²³، يتبين لنا من هذا التعريف أنّ الشعراء قاموا بتوظيف الرمز ليعبروا عن قضاياهم، ويتجلى استخدام الرمز عند الشاعر محمود درويش في قوله:

وقبل ترعرع السرو والزيتون²⁴

فاعتمد الشاعر الرمز الطبيعي والمُتمثل في (السرو والزيتون)، فالسرو يدل على اعتزاز الشاعر وشموخته وامتداد أصوله، في حين الزيتون فيدل على السلام، وكذلك صمود ومقاومة الشاعر وشعبه للكيان الصهيوني الذي يسعى لتشويه حضارتهم العريقة، وانتقل الشاعر إلى نوع آخر من الرمز ويتضح في قوله: وميزاتي:

على رأس عقال كوفية²⁵

فكل من (العقال) و(الكوفية) يمثلان رمزين يدلان على شموخ وعراقة الشاعر وشعبه، وكذلك تحيل على عروبة الشعب الفلسطيني الذي يسعى الكيان الصهيوني لطمسها والإطاحة بها، واستعمل الشاعر محمود درويش في نصه الشعري (بطاقة هوية) حقولا دلالية تراوحت بين حقل الطبيعة، واللباس، والأعداد، والأماكن، وأعضاء الجسد، والأسرة، والألوان، وكلها تحيل على الفكرة التي يريد إثباتها الشاعر محمود درويش.

1- حقل الطبيعة: السرو، الزيتون، العشب، الكروم، القصب، الصخر، الشمس.

2- حقل اللباس: العقال، الكوفية، الأثواب.

3- حقل الأعداد: خمسون، ألف، ثمانية، تاسعهم، الأولى.

4- حقل الأماكن: المحجر، البلاط، الكوخ، قرية، الشوارع، الحقل.

5- حقل أعضاء الجسد، العين، الشعر، كفي.

6- حقل الأسرة: أولادي، أطفال، أجدادي (جدي)، أبي، أحفادي.

7- حقل الألوان: فحمي، بني.

يتبين من هذه الحقول الدلالية التي تم تحديدها من خلال النص الشعري (بطاقة هوية) على انتماء الشاعر لبلده وقضيته التي عان منها الشعب الفلسطيني.

ختاما لما سبق ذكره نخلص إلى جملة من النتائج نُجملها فيما يلي:

1- تعتمد الدراسة الأسلوبية على معالجة النص الشعري وفق مستويات ثلاثة (صوتي، تركيب، دلالي).

2- اعتمد الشاعر محمود درويش في بناء نصه الشعري (بطاقة هوية) على خواص أسلوبية، وبما أننا قمنا بدراسة قصيدة (بطاقة هوية) للشاعر محمود درويش خلصنا إلى أنّ الشاعر وظف الجانب الإيقاعي ليبرز حالته الانفعالية ضد العدوان الصهيوني، وكما استعمل خاصية أسلوبية كالتقديم والتأخير على مستوى الجملة الاسمية والفعلية، وهذا ما أدى إلى إعمال ذهن القارئ للوصول إلى المعنى المراد، وهذا ما تسعى إليه الدراسة الأسلوبية وهو تفاعل القارئ مع النص.

3- يُوظف الشاعر محمود درويش كل من الرمز، والتشبيه، والحقول الدلالية التي تناسبه مع طرح قضية الانتماء والعروبة التي كان يُدافع عنها شر دفاع ضد من أراد طمسها والإطاحة بها.

الهوامش:

- ¹ الخفاجي، توماس غازي، 2012، البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، الطبعة الأولى، دمشق، طباعة نشر توزيع، ص7.
- ² فضل، صلاح، 1408هـ-1988، علم الأسلوب (مبادئه وأجراءاته)، الطبعة الثالثة، (مزيدة ومنقحة)، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ص 150.
- ³ غيمي هلال، محمد، النقد الأدبي، دط، دت، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 111.
- ⁴ أحمد سليمان، فتح الله، 1425هـ-2004، الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، طبعة مزيدة ومنقحة، القاهرة، مكتبة الآداب، ص59.
- ⁵ ينظر، الاتجاه الأسلوبية البنيوي في نقد الشعر العربي، 1421-2001، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ص 219-220.
- ⁶ ينظر، درويش، محمود، أوراق الزيتون (بطاقة هوية)، 1979، الطبعة السادسة، مج1، بيروت، دار العودة، ص121-127.
- ⁷ ينظر، المصدر نفسه، ص 121.
- ⁸ م نفسه، ص122.
- ⁹ م نفسه، ص123.
- ¹⁰ م نفسه، ص 125.
- ¹¹ ام ن، ص 126.
- ¹² م ن، ص 121/127.
- ¹³ راغب، نبيل، موسوعة النظريات الأدبية، دط، دت، مكتبة لبنان نارترون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ص37.
- ¹⁴ درويش، محمود، أوراق الزيتون، ص126.
- ¹⁵ الجرجاني، عبد القاهر، 1413هـ-1992م، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، جدة، مطبعة المدني مصر، دار المدني، ص106.
- ¹⁶ درويش، محمود، أوراق الزيتون، ص122.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص123.
- ¹⁸ م نفسه، ص 121.
- ¹⁹ ينظر، م نفسه، ص121-127.
- ²⁰ م ن، ص121.
- ²¹ م ن، ص127.
- ²² م ن، ص123-124.
- ²³ غيمي هلال، محمد، الأدب المقارن، دط، دت، بيروت، دار العودة، ص125.
- ²⁴ درويش، محمود، أوراق الزيتون، ص125.
- ²⁵ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.